تعديل ميزان القوى لمصلحة العرب، اجمالاً، مبيّناً انه لولا المساعدات العسكرية السوفياتية لما كان في استطاعة مصر وسوريا ان تحقّقا أيّاً من النجاحات التي حققتاها في حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، «لأن ما تحقّق، على صعيد تحطيم اسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يُقهر، جاء نتيجة شجاعة الجنود والضباط العرب وبسالتهم، من ناحية، وفاعلية الاسلحة السوفياتية التي تمّ استخدامها بنجاح، من ناحية أخرى». وحذّر الاعلام السوفياتي، كذلك، من محاولات التقليل من أهمية التعاون العربي ـ السوفياتي، «لأن ذلك سيلحق ضرراً كبيراً بالدول العربية، وخاصة في الظروف الراهنة، حيث يشكّل التعاون الاقتصادي، والعسكري، مع الاتحاد السوفياتي الدعامة الأقوى في تعزيز الموقع النضالي العربي من أجل تحقيق تسوية عادلة في الشرق الاوسط»[٦٨]. وقد ذكرت أنباء صحافية ان الاتحاد السوفياتي بعث بمذكّرة شديدة اللهجة الى الحكومة المصرية شدّدت على المواقف السوفياتية المؤيّدة، باستمرار، لحق مصر في استرداد اراضيها المحتلة بالقوة. واستشهدت المذكّرة بمجموعة كبيرة من محاضر المحادثات المصرية ـ السوفياتية السابقة والبيانات الرسمية المشتركة التي أيّدت هذا الحق. كما ردّت المذكرة على ما قاله السادات حول التلكؤ السوفياتي في توفير الاسلحة اللازمة بتبيان كميات، ونوعيات، الاسلحة والمعدّات العسكرية التي حصلت مصر عليها منذ هزيمة العام ١٩٦٧[٦٩].

ماذا كان على موسكو ان تفعل للحدّ من هذا التدهور المتزايد؟ وهل كان عليها التخلّي عن كل ما فعلته في مصر؟ بل هل ترتضي ان يؤدي «فشلها الاقليمي» الى تحييدها على الصعيد الدولي؟

مبدئياً، كان ينبغي ان تؤدي الجهود السوفياتية المبذولة الى تعزيز مكانة موسكو في الشرق الاوسط؛ لكن في ربيع العام ١٩٧٤، وعلى الرغم من تكرار موسكو انها الحليف الاول للعرب، وانها مصدر قوّتهم الوحيد، لم تنطبق حسابات القيادة السوفياتية على الوقائع الجديدة التي أفرزتها مرحلة ما بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣. هكذا، فبعد ان تمّ لوزير الخارجية الاميركية فصل القوات على الجبهة المصرية، وباشر محاولاته اجراء فصل القوات على الجبهة السورية، قام كيسنجر بزيارة موسكو، في ٢٥ آذار (مارس) ١٩٧٤، لمناقشة القادة السوفيات في موضوع الحدّ من انتشار الاسلحة النووية، وتذكيرهم بمساعيه الدبلوماسية الناجحة في الشرق الاوسط[٧٠].

وبغية اعلان موسكو عن عدم رضاها عن المساعي الاميركية المبذولة في المنطقة، نبّهت صحيفة «ازفستيا» مَنْ أسمتهم «معارضي الوفاق» الذين يحاولون اعاقة الخطوات المشتركة للولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي، من انه من غير الممكن التوصل الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط من «دون مشاركة الاتحاد السوفياتي». امّا صحيفة «برافدا»، فقد علّقت، بتهكّم، على ما توصّلت اليه الدبلوماسية الاميركية في الشرق الاوسط، فكتبت: «تمخّض الجبل فولد فأراً»[٧١]. وممّا لا شك فيه، ان هذا الكلام لم يكن موجّهاً الى كيسنجر ودبلوماسيته المكوكية فحسب، بل وُجّه، أساساً، الى الدول العربية التي رحّبت بالتحرّك الاميركي. غير ان الصحافة السوفياتية لم تكتف بهذا الكلام فقط، بل هاجمت السياسة الاميركية في اثناء وجود كيسنجر في موسكو. فقد نشرت صحيفة «برافدا» مقالة بتوقيع «أ. العربي»، اعترف فيها الكاتب بحدوث بعض التغيّرات في السياسة الاميركية في الشرق الاوسط، الاّ انه ذكر ان هذه التغيّرات كانت «سطحية جداً»، لأن طبيعة السياسة الاميركية لم تتغيّر في المنطقة. وأهمّ هدف للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط، في نظر «العربي»، هو «عزل السوق العربية عن الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الاخرى»؛ كما انه، في الوقت عينه، «عزل الدول العربية عن الدول الاوروبية الغربية». وذكر «العربي»، ان الولايات المتحدة الاميركية تريد